بماذا نُشبّه أصابعكم؟!

لاحظت عبر حوار اجراه معي التلفزيون البلجيكي قبل عشرة ايام، وحوار آخر اجرته الاذاعة الكوبية من هافانا قبل ثلاثة ايام، ان وسائل الاعلام الدولية تولي اعتبارا خاصا لمسألة الحضارة في حرب الخليج.

وكما تذكرون فقد كان جيمي كارتر وانور السادات ومناحم بيغن يسهبون في الحديث عن الحوار المتحضر بين الامم المتحضرة.. وها نحن نلاحظ اليوم ان جورج بوش هو الآخر يكثر من الكلام عن عدم الرغبة في تدمير الحضارة العراقية، حتى لكأن الحضارة هي قيمة موضوعية خارج حدود الانسان، او كأنها تفوقه اهمية، بحيث يبدو الاعتداء على حياته اقل خطورة من الاعتداء على حضارته!

وأرجو ان اكون دقيقا في استذكاري لما قلته للتلفزيون البلجيكي من انني "ابتسم وأكاد انفجر ضحكا وأنا أصغي الى السيد جورج بوش خطيبا في قضية الحضارة..".

فنحن لا نستطيع القبول بوجهة النظر الامريكية الرسمية، لا سياسيا ولا اقتصاديا ولا اجتماعيا ولا حضاريا. ذلك لكونها رسبت في اختبارات الواقع رسوبا شاملا. فالولايات المتحدة الامريكية هي اول سلطة عالمية تجرب السلاح النووي في الانسان وفي حضارته معا.

وهي التي اشعلت اكثر من حرب مدمرة للانسان وللحضارة، باسم الحضارة، من كوريا الى فيتنام الى غرينادا الى بنما.. الى العراق.

ومن سخريات القدر والحضارة ان احد جنود الكتيبة الآلية الثانية في الجيش الامريكي، هو جندي من سلالات الهنود الحمر الذين عملت الفرقة نفسها، يوم كانت فرقة الفرسان الثانية، على ابادتهم، ونستطيع ان نتفهم مشاعر جدته ابنة المايه وستة اعوام، التي غضبت ورفضت مخاطبته منذ انخراطه في الجيش الامريكي. (يديعوت احرونوت ٢/١٢).

ومع رفضنا المعلن لاجتياح الكويت على ايدي القوات العربية العراقية، فاننا لا نرى اي تناسب منطقي بين الفعل العراقي ورد الفعل الامريكي.

وسياسة التخريب الشامل التي تُمارسها القوات الامريكية في العراق اولا وفي الكويت ثانيا تؤكد، بما لا يقبل الجدل، على ان الاهداف المعلنة لهذه الحرب هي شيء، والاهداف الحقيقية هي شيء آخر تماما. وهذا الشيء الآخر تماما، هو الشيء الذي نرفضه تماما، وندعو الى وقف الحرب الفوري لتجنبه ولمنع عواقبه الوخيمة.

ان القاء زجاجة مولوتوف على هدف مدني يسمى في القاموس الاعلامي السائد "ارهابا" فكيف نسمي القاء متفجرات اشد هولا من قنبلتي هيروشيما وناغازاكي، على مدن العراق ومنشآته المدنية، بأكثر من ستين الف طلعة جوية؟؟

ينبغي على العالم التوصل الى تحديد منطقي وعام لمعنى الارهاب ولمعنى الحضارة ولمعنى التحرير، حتى يتمكن هذا العالم من ضبط المقولات والشعارات والمفاهيم على مقياس واحد.

لقد رافق الكاتب الامريكي المعروف جون ستاينبك ابنه الطيار

في احدى طلعاته فوق الاراضي الفيتنامية. وحين عاد الى قاعدته سالما فقد كتب مشبها اصابع ابنه وهو يضغط أزرار القصف الجوي، بأصابع عازف البيانو.. وسقط ستاينبك، وظل البيانو وظللت فيتنام.

ولا شك ان عازفي البيانو ما زالوا يحسون حتى يومنا هذا مرارة الاهانة التي وجهها اليهم الكاتب الامريكي حين شبه اصابعهم التي تبدع السعادة بأصابع الطيار التي "تبدع" الموت والدمار..

نحن نشفق على ستاينبك ولا نحقد عليه. نشفق على ابنه الطيار ولا نحقد عليه، لأننا نعرف اين يقع رأس الحية.

وبما اننا اليوم الفيتناميون المناوبون تحت اصابع الطيار الامريكي، فاننا معنيون باستباق التشبيهات التي يطلقها القتلة.

لقد قالوا عن الجندي الامريكي الاحمر انه جاء "ليصطاد العراقيين".. وذلك بعد ان "اصطادوا" هم آباءه واجداده.. وشبهوا بغداد المتصدية للغارات الجوية بشجرة عيد الميلاد، موجهين اهانة اخرى الى السيد المسيح نفسه، فبماذا نشبه نحن اصابعهم؟ ان اصابع حملة المسدسات في افلام الغرب الامريكي المتوحش اشرف واطهر وانبل من اصابعهم الجديدة النظيفة المقلمة والمطلية .. فبماذا نشبه اصابعهم .. واسمحوا لي ان اوجه السؤال مباشرة: يا حكام البيت الابيض (؟) بماذا اشبه اصابعكم؟ بماذا اشبه اصابعكم ؟!

«الاتحاد» ١٥ شباط ١٩٩١